الكلمة (لك أو عليك)

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف :

<http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

 الأولى

دُعيت إلى عقد قران في المسجد الحرام ، وحضرت وكنت قريباً من الزوج ، وبدأ المأذون الشرعي في مراسم عقد النكاح ، وكان حديثه منصبّاً مع وليّ أمر الزوجة وشروط عقد النكاح ، والزوج في صمتٍ فلم يتفوّه بكلمة ، وبعد ما دوّن المأذون شروط العقد والمهر بدأ في خطبة الحاجة وقراءة آيات من القرآن وأحاديث من السنة، ثم قال لولي أمر الفتاة قل : زوجتك ابنتي فلانة، ثم قال للزوج قل: قبلت.

فقال الزوج الذي طال صمته : قبلت، وبدأ الناس يهنئون، ويباركون، فتأملت في قول الزوج: (قبلت)

أربعة أحرف نطق بها الزوج ( قبلت ) .

أربعة أحرف استحل الزوج بها الخلوة والمعاشرة والاستمتاع والميراث .

بأربعة أحرف وجبت النفقة والسكنى.

بأربعة أحرف انتقلت عصمة الفتاة من أبيها لزوجها

إنها الكلمة ، وما أدراك ما الكلمة ؟

الكلمة بضع أحرف تخرج من فم الإنسان فيعزّ أو يذلّ ، ويسعد أو يشقى وينجو أو يهلك .

الكلمة عنوان العقل ، وترجمان النفس .

الكلمة شمسٌ مشرقة ، أو نارٌ محرقة .

وكم من كلمة قالت لصاحبها : دعني .

بكلمة تبنى أسرةٌ ،،

وبكلمة تهدم أسرةٌ ويفرق بين أهلها .

بكلمة يعانق العبد جنة الفردوس ،،

وبكلمة يكب العبد على وجهه في النار .

بكلمةٍ تقطّع رقاب، وتسفك دماء .

بدعوة ساحقة بنيت من كلمة يفقد الوالد ولده .

بكلمة يدخل العبد في دين الله، وبكلمة يكفر العبد بعد إيمان، في غزوة تبوك تكلّم بعض المنافقين بكلمة قال فيها : مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرائنا هَؤُلَاءِ، أرغبَ بُطُونًا، وَلَا أكذبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: رَأَيْتُ صاحب الكلمة مُتَعَلِّقًا بحَقَب نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ تَنكُبُه الْحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ وَرَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ:

ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﭼ التوبة: ٦٥ – ٦٦

إنها الكلمة نُبْلٌ واحترام أو نَبْلٌ ذو اجترام

اِحْـفَـظْ لِـسَـانَـكَ لاَ تَـقُـولُ فَـتُـبْـتَـلَـى

إِنَّ الْــبَــلاَءَ مُـوَكَّــلٌ بالْـمَـنـْطِــقِ

وها هو رسول الله يأَخُذُ بِلِسَانِهِ ويقول لمعاذ > : «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فيقول معاذ متعجبا >: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

الامتنان كلمة ،، السعادة كلمة ،، الثقة كلمة ،،

الفأل كلمة ،، النجاح كلمة ،، الفشل كلمة ،،

وها هو عبد الله بن مسعود يرْتَقي جبل الصَّفَا ثمّ يأَخُذُ بِلِسَانِهِ فيقول: يَا لِسَانُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ.

أخرجه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن. وقال العراقي في تعليقه على الاحياء حديث حسن

فحذارِ ثمّ حذارِ من كلمةٍ يهوي بها العبد في نار جهنّم

في صحيح مسلم أَنَّ رَسُولَ اللهِ @ حَدَّثَ عنْ رجلٍ" قَالَ لأخيه : وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، قَالَ اللهَ تَعَالَى: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ "

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ .

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَدْمِلُهُ فَيَبْرَا

وجُرْحُ الَّدهَرِ مَا جَرَح اللِّسانُ

الكلمة ،،

كم نسمع اليوم من الكلم والكلام والكلمات ؟

الكلمة اليوم معترك النزال ومتنها وسائل الاتصال

كم من كلمات سطرتها أناملنا في الجوالات وعبر وسائل التقنيات؟

كم نروّج من الإشاعات والتهم وكشف العورات؟

كم نصيبنا من الكذب، والغيبة، والنميمة، والشتم، واللعن، والهمز، والغمز، واللمز، والقيل، والقال؟

كم من كلمة يقولها العبد لا يلقي لها بالاً تسل لها السيوف وتدق من أجلها الأعناق؟

نعم بكلمة تقوم صراعات، وتثور فتن، ومنازعات.

بكلمة تقذف محصنات غافلات، وتنشب خصومات وتتقطع صلات، وعلاقات.

بكلمة نابية ولفظ سخيف تطاول به غافل أو سفيه تشحن الصدور بالحقد، والبغضاء، والشحناء.

بكلمة تستيقظ الضمائر، وتحيا المشاعر، وتدمع العيون، وتحيا القلوب.

بكلمة تعلو الهمم، ويعم الفرح، ويذهب الحزن.

لقد قرأنا في كتاب ربنا ﭽﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭼ ق: ١٨ قال ابن كثير ~: وظاهر الآية العموم يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ .

يا كرام إنّ الناظر إلى حالنا مع ألسنتنا يكشف عن مرض قلوبنا وضعف إيماننا بالله واليوم والآخر.

أين نحن من قول نبينا @ : مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمُتْ. متفق عليه .

الإيمان باليوم الآخر هو الذ يهذب اللسان

الإيمان بالله واليوم والآخر هو الذي يحبس اللسان عن الغيبة والكلام الحرام

الإيمان باليوم الآخر هو الذي يكفّ اللسان عن أعراض الأنام

 الإيمان باليوم الآخر هو الذي يجعل العبد يتصور هذا المشهد ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ ق: ١٨

رقابة شديدة تحصي الكثير، والقليل، والجد، والهزل.

قل ما شئت، حدّث بما شئت، تكلم بما شئت، اغتب من شئت، اتهم من شئت، اسخر بمن شئت، اقذف من شئت، سيئ الظن بمن شئت لكن اعلم أن الله يقول :ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ ويقول ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ الجاثية: ٧

والله إنّ لك موقفا تتمنى فيه لو كنت أخرساً لا تنطق. ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ الانفطار: ١٠ - ١٢

أخي.. إن الواحد منّا إذا علم أنّ جهة أمنية تراقبه فقطعاً سيحفظ لسانه من كل كلمة يقولها بل ربما أغلق جواله ومنع نفسه من الكلام خشية أن يحاسب على كلمةٍ قالها ، أو تغريدة نطق بها .

أخي.. هذه حقيقة لا ينبغي أن نكابر في إنكارها لقد تجرأت ألسنتنا، وخاضت في أعراض الناس بلا تمهّل، وليت الخطر والزلل وقف عند العامة والسفهاء من الناس فحسب بل تجاوز الأمر حدوده، فكم نرى من الأخيار، والصالحين، وطلبة العلم، وروّاد المساجد فتسر برؤيته وتفرح لهيئته لكن إذا تكلم إذا نطق لسانه إذا حرّك شفتيه علمت أنه لا يخشى الله جرّد لسانه مقراضاً للأعراض بكلمات تنضح فحشاً ، وألفاظٍ تنهش نهشاً تارةً بالسخرية واللمز، وتارةً بالتنقص والطعن ، هذا طويل وذاك قصير، وهذا شحيح، وهذا بخيل، وهذا أحمق وذاك جهول لاكت الألسن في العالم والعابد، وفي الراعي والرعية، وفي القريب والبعيد بل طعن في السرائر واتهام للنيات،

ألم يقرأ هؤلاء قوله تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ ؟

ألم يسمع هؤلاء قوله ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ

ألم يقرأ هؤلاء حديث بِلَالِ بن الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ، : أنّ رَسُولُ اللهِ قال : " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "

فَكَانَ عَلْقَمَةُ يَقُولُ: " كَمْ مِنْ كَلَامٍ قَدْ مَنَعَنِيهِ حَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ " .

لا أدري ماذا يقول علقمة لو ألقى بنظرة إلى مجالسنا اليوم وحديثنا عبر الجوالات والمراسلات فاللهم رحماك.

أخي.. قسماً بمن أحل القسم مهما كان صلاحك و عبادتك، ومهما كان علمك وعملك، ومهما كانت نيتك و قصدك لا بدّ أن تحاسب على ما أطلقه لسانك من ألفاظ وكلمات .

قال ابن القيم ولقد رؤي بعض الأكابر من أهل العلم في النوم فسئل عن حاله فقال: أنا موقوف على كلمة قلتها قلت: ما أحوج الناس إلى غيث! فقيل لي : وما يدريك؟ أنا أعلم بمصلحة عبادي.

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ

وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ

 فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تُذْهِبُ نَفْسَهُ

وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَى عَلَى مَهْلِ

إن القضية ليست بخطيئة وتنتهي ولا بسيئة فتغفر بل الأمر أعظم من ذلك فهي ورب الكعبة غبن وخسارة، وفاجعة، وفاضحة في يوم يكثر فيه المطالبون ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ

ووقف الخلائق في يوم القصاص وبدأ الحساب على كلمات تفوّهت بها الألسن ، فهذا اتهم في عقيدته ، وهذا اتُّهِمَ في نيّته ، وهذا قُذِف في عرضه ، وهذا احتقر في هويّته وجنسيّته، وهذا سخر بضعفه وحالتهﭽ **ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ** ﭼ الجاثية: ٢٩

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ..

 الثانية

«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» هكذا يسأل النبي أصحابه «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» الجواب: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ كاشفاً عن الإفلاس الحقيقي : «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»

 رواه مسلم

يا كرام إنّ حديثاً كهذا ، والله يكفّ الألسنة ، والله يقيّدها عن كلّ كلمةٍ ، لم يعدّ المرء لها جواباً .

رحم الله الإمام ابن دقيق العيد وهو يقول: " ما تكلمتُ كلمةً ، ولا فعلتُ فعلاً ، إلا وأعددتُ له جواباً بين يدي الله عز وجل ". طبقات الشافعية الكبرى (9 /212)

لله درّه ما أشدّ ورعه ، والله إنها مقولة لا يطبّقها إلا من كانت الجنّة والنّار نصب عينيه .

يقول ابن القيم ~: (( وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَجِدُ لِسَانَهُ قَدْ هَدَمَهَا عَلَيْهِ كُلَّهَا، وَيَأْتِي بِسَيِّئَاتٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَجِدُ لِسَانَهُ قَدْ هَدَمَهَا مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا اتَّصَلَ بِهِ)) **الداء والدواء ص161 .**

يقول الذهبي يرحمه الله في السير: (قال خارجة بن مصعب صَحِبتُ ابْنَ عَوْنٍ أَرْبَعاً وَعِشْرِيْنَ سَنَةً، فَمَا أَعْلَمُ أَنَّ المَلاَئِكَةَ كَتَبتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةً).

سلف إذا مرّ الزمان بذكرهم

وقف الزمان لهم مجلاًّ مكبرا

فأين نحن من هؤلاء؟

أين من يقول هذا الذي أوردني الموارد؟

أين من يحفظ لسانه كما يحفظ ماله وديناره؟

ﭽ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ النور: ١٥

**انتهت الخطبة**